الوحدة المغاربية ... حقائق التاريخ ورهانات الحاضر والمستقبل

د. يوسف قاسمي – جامعة قالمة
Gasmiyouceff @ yahoo.fr

ملخص:

تبدو الحاجة ملحة إلى إعادة قراءة "مشروع الوحدة المغاربية" من منظور جديد، يضع في الحسبان حقائق التاريخ والماضي النضالي المشترك، فضلا عن القواسم السوسيو ثقافية، ومحددات الدين واللغة وباقي القيم كمرجعية روحية يجتمع حولها المغاربة جميعهم. من ناحية، ومن جانب آخـر فإن واقـع التباعد والتنافر السياسي القائم بين بعض دول المنطقة اليوم، قد يؤثر بتداعياته المختلفة – لا سمح الله – في تغذية وتوليد مشاعر الكراهية والعداء بين الشعوب الشقيقة لهذه البلدان.وفي هذه الورقة متابعة للموضوع في إطار مقاربة تعتمد التاريخ كأرضية، وتطورات الواقع كشاهد مقنع، كما متغيرات المحيط الإقليمي والدولي كمحفـز. معتمدا منهجي التاريخ والتحليل كأداتين للبحث والتأطير.. ضمن خطة تقوم على العناصر التالية:

1- مدخل مفـاهيمي عام.
2- الوحدة المغاربية وأسسها...
3- التجارب الوحدوية المغاربية في التاريخ الحديث و المعاصر.
4- الوحدة المغاربية بين حقائق التاريخ والمغالطات الجيو سياسية.
5-

Résumé:

Semble urgent de relecture "du projet de l'unité du Maghreb» à partir d'une perspective nouvelle, en tenant compte des faits de l'histoire et le passé de la lutte des dénominateurs communs, mais aussi socio-culturel, et les déterminants de la langue, la religion et les valeurs spirituelles des autres comme une référence autour de répondre à tous les Marocains. D'une part, d'autre part, la réalité de l'aliénation politique et l'antagonisme entre certains pays de la région aujourd'hui, ses ramifications mai affectent différents - à Dieu ne plaise - de cultiver et de générer des sentiments de haine et d'animosité entre les peuples frères de cespays.

Dans ce document, le suivi du sujet dans le cadre de l'histoire approche délibérée comme une plateforme, et les développements dans le témoignage convaincant, et les variables avec les organisations régionales et internationales comme un catalyseur. Dépendante histoire systématique et des outils d'analyse pour la recherche et la surveillance .. Dans un régime fondé sur les éléments suivants:

1 - entrée d'une conceptuelle générale.
2 - l'unité du Maghreb et fondée ...
3 - Test unitaire du Maghreb dans l'histoire moderne et contemporaine.
L'unité du Maghreb entre les faits de l'histoire et la géo-politique, illusions .

مقـدمة:

نعتقد ابتداء بأن طول مرحلة الاستيطان الاستعماري الفرنسي – خاصة- والايطالي، والاسباني، ثم عنفه الممنهج الذي طبقه حيال الذاكرة التاريخية الفردية والجماعية، وعلى عناصر ومكونات الهوية الحضارية المشتركة للشعوب المغاربية... كلها شكلت إحدى العناوين الكبرى لسلب ذاتيتها، وزعزعة الثقة والوعي بأهمية الجماعة وضرورات الاتصال فيما بينها؛ بما يغذي ويعزز فكرة الوحدة والعيش المشترك. وتشكل حالات الإرباك والصراعات المزمنة بين الدول المغاربية -التي ورثت تركة النضال المغاربي المشترك، وأشرفت على تأطير الاستقلالات الوطنية القطرية- إحدى تجليات تركة الاستعمار المؤلمة. ولعل مشكلة الحدود الموروثة عن التقسيم الاستعماري، وقضية النزاع القائم في الصحراء الغربية اليوم، والتوترات السياسية والدبلوماسية القائمة بين الجزائر والمغرب؛ والتي تزايدت حدتها بعد العشرية الإرهابية التي مرت بها الجزائر خلال عقد التسعينات من القرن الماضي، وكذا الاتهامات المتبادلة بين الجارتين بخصوص الدعم اللوجيستيكي للإرهابيين؛ مما أفضى إلى غلق الحدود منذ ما يقارب 15 عاما ولا تزال.. كلها إشكاليات لا تزال تحول دون التقارب الوحدوي الحقيقي بين شعوب وحكومات ما يسمى " **بالاتحاد المغاربي**" الذي لا يزال يراوح مكانه منذ أكثر من 20 سنة.

وبقليل من الجهد الذهني، يمكننا تصور صيغ عديدة لحل المشكلات العالقة، خاصة المشكلة الصحراوية بالجمع بين حق تقرير المصير للشعب الصحراوي والمطالب المغربية، كما حق دول الجوار في الاطمئنان على أمنها القومي حيال جغرافية سياسية غير مستقرة. والمقاربة الجديدة التي نعتقد نجاعتها تلزم أطراف النزاع أولا بالإيمان بضرورة تسوية المشكلة – ولو بصفة مؤقتة؛ لكن مع ضمان الحقوق المشروعة للصحراويين ولا تكون أبدا على حسابهم- كمدخل سياسي ضروري لتفعيل مشروع الوحدة المغاربية وأهدافه التكاملية المشتـــركة...

وباعتبار الجغرافية السياسية لها أحكامها ومتطلباتها التي لا يمكن تجاهلها، فالجزائر كطرف ثالث أقحمته هذه الأخيرة في الأزمة منذ البداية، لا تستطيع تجاهل تداعيات ضم المغرب لإقليم الصحراء الغربية على أمنها القومي، وعلى السلامة والاستقرار مع جار لم يوقع برلمانه حتى اليوم اتفاقية ترسيم الحدود، كما لم يتخل بصفة علانية عن أطماعه لا في مناطق من التراب الوطني، ولا في التوسع جنوبا لابتلاع أراضي موريتانية. وأي طرف يتجاهل هذه المخاوف المشروعة لدولة مثل الجزائر؛ معرضة لمراجعات بشأن الحدود الموروثة عن العهد الاستعماري من قبل جيرانها، يكون قد أخطأ التقدير والحساب. وكان واجبا على المغرب أن يستغل مبادرة بناء "**الاتحاد المغاربي**" عام 1989م؛ ليستكشف مع شركائه غطاء مغاربيا لحل النزاع وفق صيغ مبتكرة، تتجاوز مقتـــرح الحكم الذاتي المحدود الذي لم يأت في ظروفه وأوانه من ناحية، كما أن الشعب الصحراوي لم يعد يقتنع بهذه الصيغة كحل للنزاع؛ بعد أكثر من 35 سنة من التشرد والقهر والمعاناة..

ضمن هذا المنظور تبدو الحاجة ملحة إلى إعادة قراءة "**مشروع الوحدة المغاربية**" من منظور جديد، يضع في الحسبان حقائق التاريخ والماضي النضالي المشترك، فضلا عن القواسم السوسيو ثقافية، ومحددات الدين واللغة وباقي القيم كمرجعية روحية يجتمع حولها المغاربة جميعهم. من ناحية، ومن جانب آخر فإن واقع التباعد والتنافر السياسي القائم بين بعض دول المنطقة اليوم، قد يؤثر بتداعياته المختلفة – لا سمح الله – في تغذية وتوليد مشاعر الكراهية والعداء بين الشعوب الشقيقة لهذه البلدان. في الوقت الذي تشهد فيه كل مناطق العالم: حكومات وشعوبا نزوعا واضحا نحو التقارب والتعايش، بل التوحد التدريجي بإلغاء الحواجز المادية والمعنوية تمهيدا للاندماج الكامل، وصناعة أقطاب اقتصادية ومالية وسياسية قوية؛ تضمن لها مصالحها، وتحفظ امتيازاتها. بل بروزها كقوى إقليمية وعالمية مسيطرة وموجهة

للسياسة الدولية... ولعل النموذج القائم اليوم عند جيراننا في الضفة الشمالية للبحر المتوسط في الاتحاد الأوروبي لهو خير دليل.

في هذه الورقة متابعة للموضوع في إطار مقاربة تعتمد التاريخ كأرضية، وتطورات الواقع كشاهد مقنع، كما متغيرات المحيط الإقليمي والدولي كمحفـــز. معتمدا منهجي التاريخ والتحليل كأداتين للبحث والتأطير.. ضمن خطة تقوم على العناصر التالية:

6- مدخل مفـــاهيمي عام.
7- الوحدة المغاربية وأسسها...
8- التجارب الوحدوية المغاربية في التاريخ الحديث والمعاصر.
9- الوحدة المغاربية بين حقائق التاريخ والمغالطات الجيو سياسية.

آملا التوفيق في بلورة رؤية ايجابية للإشكالية، تعطي الدفع المطلوب لتفعيل هذا المشروع الحيوي.

ـ مدخـــل مفاهيمي عام :

1 ـ **أصل التسمية**: المغـــرب العربي كلمة " **مغرب** " تعني "**الغـــرب**" وتدل عادة على جل المناطق الواقعة غـــرب وادي السبيل (ليبيا، تونس، الجزائر، المغـــرب، موريتانيا) وهو جزء مهم من الأمة العربية وجناحها الغـــربي مقابل الجناح الشرقي. ويعتقد أن تشكل الإطار الجغرافي والتسمية التاريخية " **للمغرب العـــربي**" تعود إلى العصور الوسطى، وتمتد جغرافيا من برقة إلى طنجة الخضراء.ويذهب المؤرخ الفـــرنسي شارل أندري جوليان إلى : "**أن تونس والجـــزائر مجتمعة تؤلف وحدة جغـــرافية وانتربولوجيا مستقلة عن بقية أجـــزاء القارة**"[1].

في حين أطلق المؤرخ الإغـــريقي القديم " **هيرودوت**" اسم "**ليبيا**" على القطاع الجغرافي من غـــرب مصر حتى المحيط الأطلسي، واسم "

[1] ـ شارل أندري جوليان، **تاريخ إفريقيا الشمالية**، تعريب محمد مزالي والبشير سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس 1969 ، ص 10

الليبيين " على أهل سكان هذا الإقليم تمييزا لهم عمن جاورهم من سكان جنوب الصحراء. أما القرطاجيون فقد أطلقوا تسمية " **الافري** على السكان الأصليين للمنطقة ويقصد بها سكان الكهوف والمغارات، ومنها كلمة "**إفريقيا**" التي أصبحت تطلق على كامل القارة[2].

وفي عهد الرومان و البيزنطيين توسع المجال الجغرافي لكلمة " **افريقيا** " حيث أصبحت تطلق على المنطقة الممتدة من برقة شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا . أما في العهد الإسلامي (القرن 8م / 92 هـ) فقد حافظ المسلمون على نفس التسمية " **افريقية** " ؛ وهي الأكثر شيوعا. وقد ذكرها عمر بن الخطاب في رسالته إلى عمرو بن العاص بعد أن استأذنه الأخير في فتح بلاد المغرب ، فنهاه عن ذلك قائلا: "**إنها ليست افريقية ولكنها المفرقة غادرة مغدور بها ولا يغزوها احد ما بقيت**"[3] ، كما جاء ذلك في كتاب "**فتوح مصر والمغرب**" لابن الحكم. وظلت تسمية إفريقية متداولة حتى ظهرت التسمية الجديدة "**المغرب**"[4] .

ويذكر ابن الأثير في كتابه "**الكامل في التاريخ** " أن هذه التسمية لم تظهر إلا بعد الفتنة الكبرى بين الخليفة الرابع علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه- وخصمه معاوية بن أبي سفيان عام **41 هـ** واستعملت تسمية " **المغرب** " لتميزها كإقليم غربي للعالم الإسلامي؛ حيث ذكر أن الخليفة علي بن أبي طالب قال مخاطبا أصحابه: "**تجهزوا لمحاربة عدوكم من أهل المغرب**"[5] .

ومنه يذهب بعض الكتاب إلى أن أصل التسمية أطلقها الفاتحون المسلمون على منطقة شمال إفريقيا تمييزا لها عن المشرق العربي،

---

[2] ـ موسى لقبال، **المغرب الإسلامي**... ط3 . المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1964 ، ص13

[3] ـ مبارك الميلي. **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1976 ، ص 29

[4] ـ الميلي، مرجع سابق، ص 30

[5] ـ نفسه

وخاصة بعد انتشار الإسلام واللسان العربي فيها. ومنه استقرت تسمية "**المغرب العربي**" الذي أنهى تداول التسميات القديمة **ليبيا** و"**إفريقيا**" .... والتي تهدف حسب الشيخ مبارك الميلي إلى تجزئة المنطقة إلى أجزاء متعددة التسمية للسيطرة عليها؛ لتأخذ طابعا سياسيا رسميا مع النصف الثاني للقرن 20 م تحت تسمية "**الاتحاد المغاربي**" عام 1989 م.

2- الوحدة المغاربية واسسها :

هنا يجب أن نطرح تساؤلين أساسيين:

ـ **الأول**: هل تشكل بلاد المغرب العربي أمة واحدة، باعتبار مفهوم الأمة يقوم على "**الوحدة الاجتماعية**" المنسجمة والمشتركة في حدودها الدنيا؛ على أسس من الفكر والعواطف والتوجهات.. كما يرى ذلك منظر القومية العربية ساطع الحصري ؟

ـ **الثاني**: هل العوامل المادية للوحدة ممثلة في: الأرض، والجنس والدم... كافية لوحدة شعوب المغرب العربي ؟ أم أنه من الضروري توفر عوامل أخرى معنوية: كالتاريخ واللغة والدين والثقافة ككل مركب ومتنوع ؟

أ- الوحدة التاريخية والجغرافية:

الإقليم وعاء طبيعي وجغرافي يجتمع فيه الناس ويفترشونه كمأوى وملاذ، بل يوحد شعور الانتماء والاتصال به، كما يبين مصالحهم. وهذا ما أكده العلامة ابن خلدون حيث يقول: "**إن وحدة البيئة تؤدي في النهاية إلى وحدة الأخلاق والعادات**"[6]. ومن ثم فموقع المغرب العربي يتسم بالتواصل الجغرافي من الشرق إلى الغرب، ومن البحر إلى الصحراء الكبرى. ومورفولوجية

---

[6] ـ تركي رابح، **التعليم القومي والشخصية الجزائرية، ط2** ، الشركة. و. ن . ت، الجزائر 1981 . ص44

السطح متشابهة، كما المناخ وعناصر البيئة المتصلة: الماء، التربة، النبات، والحيوان... وهي منطقة ربط بين شمال القارة ووسطها، ونقطة اتصال حيوي مع أوروبا والعالم الآسيوي والأمريكي، ناهيك عن المدى الزمني الطويل لاستقرار الإنسان المغاربي في المنطقة... هذا الذي أكسبه تواصلا وانسجاما نفسيا ومزاجا اجتماعيا وعقائديا وحياتيا متشابها... وهكذا تحولت الجغرافيا إلى عامل موحد. فما موقع التاريخ من كل ذلك ؟

يقول الفيلسوف الألماني **شوبنهاور: التاريخ للأمم بمثابة العقل للأفراد**. ومنطقة المغرب العربي انصهرت في بوتقة تاريخية وصيرورة زمنية شكلت مصائرها ومآلاتها على مدار التاريخ كله. فكما يذهب إلى ذلك ناصر الدين سعيدوني فإن : **بلاد المغرب العربي عرف تاريخها أحداثا جعلت منه وحدة تاريخية متكاملة، كما شكلت له مصيرا مشتركا.. أكدته احداث منها تعرضها للعديد من الهجمات الاستعمارية عبر تاريخها الطويل ابتداء من الفينيقيين فالرومان والوندال فالبيزنطيين**[7] مرورا بالفتح الإسلامي، فالدخول العثماني، وانتهاء بدخول الاستعمار الأوروبي الحديث لبلاد المغرب العربي.. فحقبة المقاومة والتحرير فالاستقلال.

وعليه فالتاريخ يشكل حقيقة زمنية وموضوعية شكلت ماضي وحاضر المنطقة، كما بصمت ذاكرة شعوب المنطقة بأحداث وانتصارات وهزائم مشتركة؛ صنعت مصيره الواحد الموحد حاضرا ومستقبلا.

---

[7] ـ ناصر الدين سعيدوني، مقال: وحدة المغرب العربي بين الحتمية التاريخية والواقع المعاش، المجلة الجزائرية للعلاقات الدولية، عدد 03 ، ديوان المطبوعات الجامعية 1986 ص56

03- الوحدة اللغـوية والدينية:

يذهب الفيلسوف الألماني **فيخته** إلى التأكيد على أن وجود امة من الأمم بوجود أنيتها (ذاتيتها) التي هي شخصيتها، وان هذه الشخصية تتكون من عناصر ثلاثـــة هي: الدين واللغة وحب الوطن[8].

ومنطقة المغرب العـــربي تتكون من مزيج لغوي عريق، أصوله أمازيغية تعربت بفضل الفتح العربي الإسلامي، كما استفادت من مفـــردات لغوية تـــركية وأجنبية (فـــرنسية خاصة) في الحقب الزمنية اللاحقة. ولكن يتداول سكان المنطقة لغتيـــن بارزتين هما: اللغة الأمازيغية باختلاف ألسنتها ولهجـــاتها. حيث تشكل - حسب بعض الدراسات- من **36** إلى **40 بالمائة** في المغـــرب الأقصى، و **25** إلى **27 بالمائة** في الجـــزائر. وأكثر من **01** بالمائة في تونس[9] و حوالي **03 بالمائة** في ليبيا. والأغلبية تتحدث العـــربية الهجينة (المحلية) وتتداولها شفهيا؛ أغلب مفـــرداتها المستعملة يشترك فيها اللسان المغاربي كله. في حين تسود اللغة العربية كلغة التدريس والكتابة والتأليف... إلى جانب اللغة الفرنسية في الإدارة وبعض التخصصات العليا بالجامعات وبين بعض النخب الفرانكفـــونية؛ كلغة دخيلة عـــلى المجتمع وثقافته موروثة عن الحقبة الاستعمارية.

يقول العلامة الشيخ ابن باديس - رحمه الله- مبرزا دور اللغة العـــربية كعنصر واصل ووحدة بين شعـــوب المغرب العربي:"اللغة العـــربية هي ذلك الرباط الذي يربط بين ماضـــي الجـــزائر وحاضـــرها ومستقبلها فهي لغة الدين والجنسية واللغة الوطنية المغـــروسة ، وما يقال عن الجزائر ينطبق على بقية الأقطار الأخرى

---

[8] ـــ مولود قاسم نايت بلقاسم، "**اللغة والشخصية في حياة الأمم**" ، مجلة الثقافة، السنة الاولى، عدد 2 ، ماي 1971 ، ص 07 .

[9] ـــ صلاح العقاد، **المغرب العربي دراسة في تاريخه الحديث وأوضاعه المعاصرة**، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة 1980 ، ص 09

في المغرب العربي باعتبارها جزءا لا يتجزأ منه..."[10]. ويؤكد المفكر المغربي عبد الله العروي ما ذهب إليه ابن باديس، معززا دور الإسلام في المسألة قائلا: "لقد كانت الحضارة ترمز إلى العقيدة الإسلامية واللغة العربية"[11].

والإسلام كدين ومنظومة حياة غيَّر وجه المنطقة برمتها، كما أحدث زلزالا هائلا في البنية النفسية والذهنية والسلوكية للإنسان المغاربي؛ لينقله من منظومة الوثنية والمسيحية المحرفة... إلى عقيدة التوحيد والإيمان النقي، وقيم الأخوة والعدالة والمساواة، وروح التضامن وبناء الحضارة. وفعلا وكما يقول محمد الصغير غانم فقد: "شكّل الإسلام كعقيدة والعربية كلسان الوعاء الحضاري والثقافي الذي جمعها في بوتقة واحدة"[12].

فقد تحصنت – ولا تزال– شعوب المنطقة بالإسلام عقيدة وحضارة وجهادا في وجهة عاتيات الزمن وتقلبات الأيام، وحوادث التاريخ في السراء والضراء؛ ليشكل لها مصدر إلهام وعنصر توجيه وقلعة للمقاومة والصمود، ومناعة معنوية وحضارية في وجه سياسات الغزاة المعتدين عبر حقب التاريخ المتعاقبة. ويشكل اليوم أحد العناصر الأساسية لتطور الهوية المغاربية. وقد بين ذلك العلامة ابن باديس في مقال له تحت عنوان "ما جمعته يد الله لا تفرقه يد الشيطان " حيث يقول: "إن أبناء يعرب وأبناء مازيغ قد جمع بينهم الإسلام منذ بضع عشرة قرنا ... حتى كونت منهم خلال أحقاب بعيدة عنصرا مسلما جزائريا أمه الجزائر وأبوه الإسلام"[13].

---

[10] ـ تركي رابح، مرجع سابق، ص 65

[11] - Laraoui (A) : « **L'histoire du Maghreb** ». un essai de synthèse . Fondation, Paris 1982 ; p 121

[12] ـ محمد الصغير غانم، " مدخل للعلاقات الحضارية بين المغرب والمشرق القديمين"، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 02 ، جامعة منتوري ، قسنطينة، ص 34

[13] ـ تركي رابح، مرجع سابق ص 36

والمعنى نفسه يؤكد الدوري بقوله : "لقد حظي المغرب بدين لم يكن له الفضل في تملكه فقط وإنما بربطة بالعالم العربي"[14]، ومن جانبه يوضح المفكر الجزائري محمد أركون شعور الانتماء المغاربي بالقول: إن الشعور بالانتماء إلى الأمة شعور يومي في المغرب العربي إنه السلوك الذي يميز روح التضامن إذا تعرض بلد شقيق إلى عدوان..."[15].

02- التجارب والوحدوية المغاربية في التاريخ الحديث والمعاصر:

ـ العثمانيون ووحدة المغرب العربي: بعد سقوط دولة الموحدين الجامعة في مطلع القرن 13م* وبعد حوالي ثلاثة قرون من الصراع والتشرذم السياسي والطائفي بين الدول التي ورثتها (الدولة المرينية بالمغرب عام 1230 م، والزيانية بالجزائر 1232م، والحفصية بتونس 1230م) خلال هذه الفترة التاريخية كان سقوط الأندلس وعاصمتها غرناطة عام 1492 م؛ لتنتهي حقبة من الحكم الإسلامي هناك دامت 08 قرون من التطور والحضارة. تعرض المغرب العربي إلى الانقسام الداخلي والضعف السياسي والعسكري، نتج عنه الغزو

---

[14] ـ الدوري (أ) ، **التكوين التاريخي للأمة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية** ، بيروت 1984 ، ص 70

[15] - Arkoun . M , article ; **L'islam et les islamises** , Revue Histoire ? N° 35 ? 1984 Pp 33 – 34

* تأسست دولة الموحدين بقيادة عبد المؤمن بن علي، على أنقاض دولة المرابطين في المغرب الإسلامي في الفترة الممتدة من 1130م إلى 1159م؛ حيث أخضع لسيطرته المنطقة الواقعة من المغرب الأقصى حتى تونس. ثم وحدها في دولة مغاربية إسلامية على مدى قرن كامل؛ مثلت تجربة أولى رائدة في الوحدة المغاربية على أساس من الإسلام والقواسم المشتركة الأخرى. وقد أجمع المؤرخون والكتاب على نجاح تجربة الوحدة بقيادة بن تومرت رائد الإصلاح والتجديد السياسي في دولة الموحدين. ويشيد كتاب مغاربة بتجربة دولة الموحدين الناجحة بالقول: (... وتجلت روح قومية مغاربية بكل معانيها، وهل هناك دليل أكبر من أن يموت المهدي بن تومرت مؤسس دولة الموحدين وهو من قرى الجنوب المراكشي، ويترك الخلافة من بعده لعبد المؤمن الكومي الندرومي من بلاد الجزائر؟...) انظر: عبد الإله بلقزيز وآخران، الحركة الوطنية المغاربية والمسألة القومية 1947 - 1986 م محاولة في التاريخ، ط1 ، د. د. ن، بيروت 1992، ص 44

الاسباني والايطالي على بلاد المغرب؛ لتحتل حل سلته وتقوده على سواحل البحر المتوسط... في هذا الوقت الحرج جاء العثمانيون كمنقذين ليوحدوا أجزاءه ممثلة في(الجزائر عام 1518م – تونس عام 1535 – وليبيا عام 1554 م) لتصير المنطقة – باستثناء المغرب الأقصى – في حمايتهم وتحت سلطتهم موحدة تحت سلطة دايات، باشاوات، وبايات محليين؛ يتبعون سلطة الخلافة العثمانية الإسلامية هناك في الباب العالي باسطنبول.

أ – الاحتلال الأوروبي والنضال المشترك : الذي تجلى بقوة من خلال حركات الإصلاح ضمن المرجعية الإسلامية وعناصر الهوية المغاربية الأخرى لغة وثقافة وتاريخا ومصيرا واحدا... ومن خلال حركات ابن باديس ، وخير الدين باشا وتونس الفتاة بزعامة الثعالبي ، والحركة الوهابية في المغرب، والسنوسية في ليبيا.

ب- العمل الوطني المشترك عبر تيارات سياسية استقلالية وحدوية: نجم شمال إفريقيا ثم حزب الشعب في الجزائر، الحزب الدستوري التونسي، و حزب الاستقلال المغربي.

ج- جمعية طلبة شمال إفريقيا : تأسست في شهر نوفمبر 1927 بفرنسا بين شباب جزائريين وتونسيين، أبرزهم الأستاذ خير الله التونسي، وكانت ذات صلة بنجم شمال إفريقيا.

د- جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية : تأسست خلال الحرب ع2 بشكل منفرد لكنها كانت تحمل روحا مغاربية واحدة ، ومطالب استقلالية متماثلة ، عبرت عنها من خلال :

- **بيان الشعب الجزائري** فيفري – مارس 1943م[16]
- **عريضة 11 جانفي 1944** التي قدمها حزب الاستقلال المغربي
- **ميثاق الاستقلال بتونس** في 23 أوت 1946

---

[16] – فرحات عباس، **حرب الجزائر وثورتها (ليل الاستعمار)**، ترجمة أبو بكر رحال، مطبعة فضالة، المغرب ؟ ص ص 169 –174

ثم توحدت في **جبهة الدفاع عن إفـريقيا الشمالية** عام 1944 تحت قيادة **العـلامة الشيخ محمد الخضر حسين** (شيخ الأزهر لاحقا) وسكرتارية **الشيخ الثائر الفضيل الورتلاني** و تمثيل مغاربي. وجاء في ميثاق التأسيس: "لما كانت شعوب شمال إفـريقيا متجهة نحو وجهة واحدة لمحاربة الاستعمار بجميع أنواعه والسير نحو الاستقلال وتثبيت السيادة الـوطنية... رأى ممثلـو الهيئات السياسية الموقعة على هذا أن يخرجوا هذه الوجهة المتحدة من خير النظر والعاطفة إلى خير العمل راجين من المولى تعالى أن يسدد خطاهم ويبلغ مناهم..."[17].

هـ - <u>مؤتمر المغرب العربي 1947</u> : انعقد في 15 فيفري 1947م واستمرت أشغاله حتى يوم 22 فيفري، حضره ممثلو حزب الدستور الحر التونسي، وممثلو حزب الشعب بالقاهـرة، والوفد المراكشي ومعه رابطة الدفاع عن مراكش[18]، وناقش المجتمعون قضية الاستعمار الفرنسي والاسباني بالمغرب العربي ، وسبل مواجهته والتخلص منه وجلاء قواته عنها.

و- <u>مكتب المغرب العربي 1947</u>: بالقاهرة: تنفيذا لقرارات المؤتمر السابق ذكره، عمد إلى إنشاء مكتب المغرب العربي ، وشمل ثلاثة أقسام: **القسم المراكشي ، القسم التونسي، القسم الجزائري...** وكان **الشاذلي المكي ومحمد خيضر** ممثلا الجـزائر في المكتب عن حزب الشعب الجزائري.

ز- <u>لجنة تحـرير المغرب العـربي</u> 1947: أنشئت بفضل المجاهد الكبير عبد الكريم الخطابي، بعد عودته من منفاه بجـزيرة "**لارينيـون**" الفرنسية حيث منح اللجـوء السياسي من قبل الملك فاروق، وشكلت لجنة ثلاثية توجت عملها بتأسيس اللجنة في09 ديسمبر1947 ممثلة

---

[17] - علال الفاسي، **الحركة الاستقلالية في المغرب العربي**، مؤسسة علال الفاسي، الرباط المغرب 1983 ، ص 485

[18] - مومن العمري، **شعار الوحدة ومضامينه في المغرب العربي اثناء فترة الكفاح الوطني**. رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ، جامعة منتوري قسنطينة. 2009 – 2010 ، ص 171 – 172

للأحزاب المغاربية الثلاث (حـزب الشعب، الدستوري الحر، الاستقلال المغـربي.) كالتالي:

ـ **الرئيس:** محمد بن عبد الكريم الخطابي

ـ **وكيل الرئيس:** محمد بن عبد الكريم الخطابي

ـ **الأمين العام:** الحبيب بورقيبة

ـ **أمين الصندوق:** محمد بن عبود (حزب الإصلاح)

وأعلن عن تأسيسها الرسمي في 05 جانفي 1948م .

ش- **لقاء طنجة الأول (ماي 1949):** بين ممثل حزب الشعب – حركة الانتصار في شخصية محمد خيفر و الحاج محمد شرشالي ، وحزب الاستقلال المغـربي بزعامة علال الفاسي .. لتنسيق الجهود النضالية المشتركة.

ص- **جبهة الاتحاد والعمل المغربية** (02 فيفري 1952م) ، ظهرت بمنطقة " **شانتـي** " بباريس و ضمت حزب الشعب –حركة. ا ح د، الحزب الدستوري القديم والجديد التونسي ، حزب الاستقلال المغربي، حزب الوحدة المغـربية، وحـزب الإصلاح المغـربي ، وحزب الشورى والاستقـلال المغربي. الهدف كما جاء في بيان التأسيس هو: تنسيق العمل ومتابعة الكفاح في سبيل تحرير إفريقيا الشمالية.

ن- **ميثاق لجنة تحرير المغـرب العربي (4 أفريل 1954 م)**، صدر الميثاق بالقاهرة في فترة الكفاح لتونسي والمغاربي المسلح ، بهدف توحيد النشاط السياسي ، وتعـزيز التضامن المغاربي وبلورة خيارات الكفاح المشترك لتأكيد إرادة الشعـوب المغاربية في التحرر والاستقلال.

ع- **مؤتمر طنجة الثاني من 27 إلى 30 افـريل 1958م**، جاء بعد حصول كل من تونس والمغرب على استقلالهما عام 1956 م، و تزايد قوة الثورة الجزائرية ومجابهتها للسياسات الفرنسية المتعجرفة لشق الثورة الجزائرية. كما جاء بعد شهرين فقط من اتفاق الوحدة السورية – المصرية شهر فيفري 1958م، وكذا أحداث ساقية سيدي يوسف

[illegible] في 1958م، و جاءت الدعوة من حزب الاستقلال المغربي [illegible] مع المغرب الشعوري الحر بزعامة بورقيبة، وقيادة جبهة التحرير الوطني. لبحث مشاكل المغرب العربي على رأسها استمرار حرب الجزائر. ويؤكد المجاهد عبد الحميد مهري على أن الجبهة قبلت الدعوة وزكت الدوافع[19]:

1 ـ طول الحرب الجزائرية وتأثيراتها على الجارتين.

2 ـ تنامي تيار الوحدة القومية في المشرق (بين مصر وسوريا، وكذا العراق و الأردن)

3 ـ حل بعض المشاكل العالقة بين البلدان الثلاثة: ليبيا واستمرار حرب وثورة الجزائر

وشكل المؤتمر جدول أعمال مكون من:

أ ـ حرب استقلال الجزائر

ب ـ تصفية آثار الاستعمار في المغرب العربي

ج – اتحاد المغرب العربي[20].

واختلفت تقييمات الكتاب والباحثين لنتائج هذا المؤتمر، وتوزعت بين من يعتبره خطوة في انجاز التقارب ومن يعتبره دون ذلك الطموح[21].

ـ مشاريع التنمية المشتركة في عهد الاستقلال:

* **مشروع الشركة المغاربية للطيران** عام 1970م

* **مشروع القطار المغاربي:** تونس – الدار البيضاء؛ اكتمل شطره بين الجزائر وتونس عام 1974 م، والشطر الثاني لم ينجز وتوقف به العمل منذ عام 1975م.

---

[18] ـ نفسه، من ص 193– 207 أنظر كذلك: مالكي محمد، **الحركة الوطنية والاستعمار في المغرب العربي**، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1993 ، ص 458

[19] ـ [illegible] العمري، نفسه، ص 210

[20] ـ للتوسع في المسألة انظر: محمد الميلي، مقال: **وحدة المغرب العربي، مجلة المستقبل**، [illegible] 420 مي 1986، ص 23

* مشروع التكامل الكهربائي المغاربي
* مشروع البنك المغاربي للادماج الصناعي: و تم تفعيله بين [illegible] وتونس وتوج بمصانع الاسمنت بالكاف.. لكنه لم يكتمل !

قيام اتحاد المغرب العربي 1989م :

1 ـ لقاء قمة بين الرئيس الشاذلي وملك المغرب عام 1983 / لقاء المصالح و تحديد مشروع طنجة 1985م ، كعربون وفاء وفتح صفحة جديدة في علاقات البلدين.

2 ـ قمة الساقية بتونس في 08 فيفري 1988م بين الرؤساء، الشاذلي بن جديد، زين العابدين بن علي، معمر القذافي، والملك الحسن الثاني؛ و الاحتفال بذكرى شهداء الجزائر وتونس.

3 ـ **قمة زرالدة** بالجزائر في 10 جوان 1988م، وقد مثلت محطة هامة في تأسيس لبنة اتحاد المغرب العربي؛ توج **بلجنة مغاربية عليا** لانجاز مشروع الوحدة المغاربية، حيث اشتغلت على الموضوع داخل 05 لجان، من جويلية 1988م حتى جانفي 1989

4 ـ **قمة مراكش في 17 فيفري 1989م:** جمعت زعماء الدول الأربعة + معاوية ولد الطايع رئيس موريتانيا ـ وتوجت بتأسيس: **اتحاد المغرب العربي**[22] المتكون من:

ـ **المجلس الرئاسي:** (يجتمع كل 06 أشهر على مستوى القمة.)
ـ **مجلس وزارة الخارجية:** يحضر ملفات القمم و اللجان المختصة.
ـ **مجلس الشورى المغاربي:** يضم 50 عضو، ويجتمع في دورة عادية كل سنة.
ـ **الهيئة القانونية:** (مجلس تحكيمي أو محكمة عليا) تتكون من 10 قضاة يعينون لمدة 06 سنوات؛ لبحث القضايا العالقة والخلافات بين بلدان الاتحاد.

---

[22] . توفيق المديني، مقال: ديناميكية التعاون الإقليمي في المشروع المغاربي، مجلة الدراسات الفلسطينية (90, 91) ديسمبر 1999 جانفي 2000

الوحدة المغاربية بين حقائق التاريخ والمغالطات الجيو سياسية:

جاء في المؤتمر الأول للثورة الجزائرية بالصومام في 20 أوت 1956م تأكيدا على فكرة الوحدة المغاربية ما يلي: "يتطلع أبناء الجزائر المستقلة إلى التضامن الطبيعي الضروري بين بلدان المغرب العربي الثلاث، لأنها مجموعة كلية تؤلفها الجغرافيا والتاريخ واللغة والحضارة والمصير، لذا يجب أن يسفر هذا التضامن على تأسيس الدول الثلاث"[23] ، كما جاء التأكيد نفسه في جل اللوائح الختامية لمؤتمرات الأحزاب المغربية كاتحاد القوات الشعبية، وعلى رأسها حزب الاستقلال المغربي ومن بينها قوله: "لا يجوز أن تبقى وحدة المغرب العربي مجرد شعار أجوف دون مدلول، بل يجب أن يعطى لهذا الشعار مدلوله الصحيح... أن تخط الطريق نحو الوحدة الحقيقية..."[24] من جانبه تؤكد أدبيات حزب الاستقلال المغربي: "ويعتقد الحزب أن الوقت قد حان لبناء وحدة المغرب العربي الكبير، الوحدة بين هذه الأقطار لا تستند إلى التاريخ واللغة والدين والحضارة المشتركة والقومية الموحدة فحسب ولكنها ضرورة اقتصادية وفكرية أيضا..."[25].

لكن للأسف الشديد فإن بعض الخلافات البينية الحدودية والسياسية كمشكلة الصحراء الغربية التي برزت بعد الخروج الإسباني عام 1975م ، إلى جانب تباين التوجهات الإيديولوجية والسياسية للأنظمة بعد استقلالها... وغيرها؛ كلها أسباب وعوامل حالت دون التجسيد الميداني الحقيقي لهذا المشروع الطموح

---

[23] - حزب جبهة التحرير الوطني، **النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني 1954-1962** ، نشر وتوزيع قطاع الإعلام والثقافة والتكوين، الجزائر، جويلية 1987 ، ص 42

[24] - المهدي بن بركة، **الاختيار الثوري في المغرب**، دار الطليعة، بيروت 1964،ط2 ص 53

[25] - أنظر بتوسع مقالة الأستاذ: حبيب راشدين: "**البحث عن دعاة لحق المغاربيين في تقرير المصير**"، جريدة الشروق اليومي، عدد يوم: 2010.02.14م

المعزز بقوة الجغرافية والتاريخ، الدين واللغة، والمثل المشترك. ناهيك عن كثير من المشتركات الاجتماعية والأنثروبولوجية. ووصل الحد إلى مستوى شن الحروب البينية كما حدث بين المغرب والجزائر في أكتوبر 1963م والجرح الاستعماري لا يزال ينزف ولم يندمل بعد. ثم المواجهة المسلحة الثانية بين البلدين عام 1976م؛ بسبب مشكلة الصحراء الغربية والنظرة المتناقضة لها لدى البلدين. وللأسف فإن هذه المشكلة وما تخفيه من أطماع وتطلعات لدى الطرفين تقف حجرة عثرة في طريق كل محاولات التقارب البينية، وتجهض كل مساعي إنجاح مشروع الاتحاد المغاربي؛ الذي لا يزال حبيس اللقاءات السياسية البروتوكولية بين الزعماء، وقرارات التفعيل والانجاز لا تزال هي الأخرى حبيسة الأدراج، والتسويق بل التهريج الإعلامي الأجوف. وجاءت ما يسمى بالعشرية الحمراء الإرهابية التي عاشتها الجزائر في تسعينيات القرن الماضي، حكومة وشعبا... وتحريك ودعم آلة الدمار والإرهاب الأعمى في الجزائر من طرف بعض الأطراف المغاربية على رأسها السلطة الملكية بالمغرب ــ حسب الاتهامات الجزائرية ــ ليفضي على الأخضر واليابس، لتخلق حالة الانسداد القصوى بين البلدين، فتغلق الحدود عام 1995م كما فرضت تأشيرات العبور على مواطني البلدين... كل ذلك أجهض ما تبقى من حلم للوحدة المغاربية بين شعوب وحكومات أقطار المغرب العربي.

وبعيدا عن لغة الاتهامات والإدانات التي تشكل عملة رائجة في القاموس السياسي والإعلامي لهذه البلدان، فإن السؤال الأساسي الذي يجب أن نطرحه ونبحث عن إجابات مقنعة وعملية له؛ تنقذ المشروع الحلم من الموت النهائي، وتعيد نفخ روح الحياة والفاعلية في جسمه. في ضوء متغيرات إقليمية ودولية هائلة ومتسارعة لا تنتظر أحدا، كما لا ترحم من لم يحسن التكيف والمواكبة في ظل عولمة متغولة: ما هي القراءة الموضوعية الصحيحة لبعث مشروع الوحدة المغاربية من جديد ؟ وكذا السبل والطرق المعرفية

والمنهجية والبنيتها الممكنة لإخراج المشروع من ذاكرة التاريخ وحقبه الجغرافية السياسية، و رومانتيكيات اللغة والدين والثقافة... إلى واقع السياسة الموضوعية الماثلة أمام الأعين؛ تواصلا، عملا واستراتيجيات، وآفاق مستقبلية واعدة ؟

ـ الطرح الفيدرالي للمشكلة الصحراوية... مخرجا موقتا

يمكن لدول المغرب العربي أن تبحث مشكلة الصحراء الغربية – باعتبارها العائق الدائم لمزمن الحائل دون حلحلة الموضوع أو أية تسوية ممكنة له – خاصة من طرف كل من المغرب الأقصى والجزائر؛ خارج سياق التشبث بالطرحين والموقفين الكلاسيكيين لكل منهما بشأن القضية، والمتعلق بفكرتي الحكم الذاتي المحدود بالنسبة للمغرب، وفكرة تقرير المصير عبر استفتاء عام تحت إشراف الأمم المتحدة، كما يؤكد الصحراويون مدعومين بموقف الجزائر الثابت. عبر السعي إلى الدول نحو تسوية جديدة للقضية؛ يمنح فيها الشعب الصحراوي حق تعديل في الدستور المغربي، حالة من الحكم الذاتي الموسع، تكون أقرب لما يتمتع به اليوم إقليم كردستان في العراق، من إمكانيات وصلاحيات لبناء حكم محلي بمؤسسات تشريعية، وحكومة محلية يديرها الصحراويون داخل النظام السياسي المغربي. أي إقناع المغرب بالدخول في تجربة فدرالية سابقة لأوانها، قد تساعد دول المغرب العربي على المضي أبعد في مشروع بناء المغرب العربي ككيان فدرالي، وليس فقط كتجمع إقليمي لدول متشابهة بنظمها لنظرية المغلقة.

وعلى نفس المنوال يمكن البحث في إمكانية قيام اتحاد فدرالي بين إقليم الصحراء الغربية وموريتانيا، من باب تقوية الطرف الأضعف في الاتحاد المغاربي، وتسعى دول المغرب العربي لتوفير اعتراف دولي بهذا الكيان، ويتولى الكيان الجديد بمساعدة من دول المغرب العربي تعويض المملكة المغربية عما أنفقته في البنية التحتية بإقليم الصحراء الغربية. وفي المقابل، تتعهد دول المغرب العربي بدعم

حقوق الشعب المغربي في استعادة السيادة المغربية الكاملة على ترابه في مقاطعتي سبته ومليلية. بذلك يحفظ للشعب المغربي هويته، كما يوفر له فرص التعبير عن وجوده في إطار التواصل الاجتماعي والثقافي والسياسي مع دول الجوار. وتسهيل عملية الاندماج التدريجي داخل الفضاء المغاربي المشترك في المرحلة اللاحقة. وتكون هذه الصيغة تجربة رائدة لبقية شعوب المغرب العربي في سياق البناء المتدرج لمغرب عربي قدراتي: له عن مقومات الوحدة ربما فروق ما توفر لدول الاتحاد الأوروبي التي قطعت أشواطا كبيرة في طريق الاندماج والتوحد الكامل.

ـ دور النخب والمجتمع المدني في الضغط على أهل الحل والعقد

مثل هذه المقاربة وغيرها المنتجة لحلول واقعية مرنة، لا يمكن أن نتوقعها من القادة المنغمسين في النزاع وحسابات سلطوية ضيقة، لكنها تحتاج بالتأكيد إلى قاعدة عريضة من فئات المجتمع المدني المستقلة عن الوصاية الرسمية، وكذلك إلى دعم وضغط متواصل من النخب المغاربية بأنواعها: الفكرية والعلمية، الاقتصادية والإعلامية... وغيرها؛ المؤمنة بالمشروع الوحدوي المغاربي، والتي لا تشعر كثيرا بمسار التسوية كما هو مطروح الآن. ومؤكد أن هذه القوى والنخب إن لم تتحرك بسرعة وفعالية في اتجاه تدارك المشروع الوحدوي، المرهون سياسيا ورسميا؛ فإنه قد يؤول إلى ما آل إليه مسار التسوية في القضية الفلسطينية، الذي قطع إلى اليوم عقدين من الزمن ولا يزال يراوح مكانه، بل يفقد باستمرار مكاسبه التاريخية الواحد تلو الآخر، في مسلسل من التنازلات والإخفاقات العربية المشينة... إن لم يؤد به العبث الغربي ودول الجوار المتوسطي تحديدا إلى الدفع إلى انفجار سابق لأوانه بين الأشقاء المغاربة قد لا يبقي ولا يذر.

كما أن الاتحاد الأوروبي ودوله نفسها، قد يجدان مغانم كثيرة في مغرب عربي مستقر وآمن، يمنحهما العمق الجغرافي السياسي والاقتصادي والأمني، على حدودهما الجنوبية المهددة بموجات

الهجرة غير الشرعية، فضلا عن العنف الذي تنتجه الجغرافية غير المستقرة، وأمام القوى الوطنية والقومية والإسلامية كلها، المؤمنة بمشروع الوحدة المغاربية فرصة لتوعية شعوب المنطقة وإقناع حكامها؛ بأن كلفة تحقيق التسوية التي ترضي جميع الأطراف، هي أقل بكثير حتى من كلفة إدارة الصراع على نار باردة، كما يدار منذ عقدين من الزمن. كما أن مغانم التسوية بالتراضي لجميع الأطراف، هي أكبر بكثير مما قد يتحقق بتسوية تخرج بغالب ومغلوب.

خاتمة:

إننا نعتقد بأن الخطوة الأولى في الطريق تتمثل في بناء رؤية كلية شاملة للمشروع قوامها:

أولا: تفعيل دعائم التاريخ والجغرافية، والدين والثقافة واللغة.. وباقي القواسم المشتركة بين الشعوب. يضطلع بتلك المهمة نخب هذه البلدان من العلماء والمفكرين والمثقفين والخبراء، في مختلف التخصصات وميادين العمل. خارج إطار المؤسسات الرسمية. وبدور وتمويل من منظمات المجتمع المدني لإنضاج الفكرة، وتقريب المفهوم، وتوحيد الرؤية؛ كما صناعة وعي مشترك لدى هذه الفئات وعموم الشعب المغاربي.. تحضيرا لتبني المشروع واحتضانه بوعي واقتناع والتطلع لتجسيده واقعا ملموسا، وطموحا وحدويا حياتيا قائما.

ثانيا: نقـــل ورشات العمل ومشاريعها المنجـــزة إلى المستوى الـــرسمي داخل مؤسسات الإتحاد في الأقطار المغاربية، وتكوين هياكل وأجهزة تضطلع بمهمة التفعيل والانجاز في إطار موضوعي شفاف. تراعى فيها حقائق التاريخ، وتطلعات الحاضر كما آفاق المستقـــبل؛ ضمن رؤية عقـــلانية تستـــوعب محددات الماضي والحاضر، كما تتكيف ايجابيا مع متغيرات الواقع الدولية بتدرج ومرونة وبراغماتية. وإشراك الجماهير ضمن خطة إعلامية عمل ميداني، يعزز الروابط والقواسم، ويبحث تسوية المشاكل النفسية والاجتماعية، اللغـــوية والثقافية العالقة؛ في إطار عمل وحدوي بناء. لتبـــرز الجماهير كقـــوة حاضنة ومحـــركة للمشـــروع. وبذلك تستطيع أن تؤدي دور الصانع له من ناحية، والمسرع لانجازه عبـــر الضغط على حكـــوماتها لا تمام بناء مشروع الوحدة المغاربية من ناحية أخـــرى.

تلك في نظـــرنا هي الخطة والطريقة المناسبة التي تمكن فعلا من إحياء مشروع الوحدة المغاربية، ونقله من رفـــوف التاريخ، ومشاكل الجغرافيا، وصراعات السياسة والإعلام... إلى مستوى التجســـيد العملي الميداني ؛ كحقيـــقة تاريخية، وعمل ميداني، وتطلع مستقبلي نحو الأفضل. في ظل واقع دولي ينزع بقوة نحو التقارب والتوحد، وصناعة فضاءات اقتصادية وسياسية وحضارية.. تحفـــظ هـــوياته وذاكرته التاريخية، كما ترعى مصالحه ورفاهيته، وتضمن

للأجيال اللاحقة مستقبلا آمنا مزدهرا واعدا. بذلك تنتقل منطقة المغرب العربي إلى رقم صعب، يستحيل تجاهله في بحث المشكلات والقضايا العالمية وباقي الحسابات الإقليمية والدولية.

فهل نقوى نحن المغاربة على مواكبة حركة التاريخ الواعية، وتسجيل حضورنا الدولي لحماية مصالحنا وقضايانا القومية المشتركة، ومن ثم دخول عالم الصانعين للمستقبل والحضارة المعاصرة؟